البحوث والدراسات

أَلْفَاظُ المَطَرِ والسَّحَابِ فِي لَهْجَةِ الحِجَازِ المُعَاصِرَةِ، وعَلَاقَتُها بِالفُصْحَى

د. خلف الله بن محسن القرشي*

ملخص:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإن هذا البحث يتناول بالدراسة الدلالية ألفاظ المطر والسحاب في لهجة الحجاز المعاصرة؛ إذ جمع الباحث الألفاظ التي شملتها الدراسة من بعض قبائل إقليم الحجاز مرتبة على حروف المعجم. وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة الأصالة في لهجة الحجاز المعاصرة من خلال دراسة ألفاظ الحقلين (المطر، والسحاب)، وبيان ما حدث فيها من تغيير، ورد الفصيح منها إلى جذوره، وبيان الانحرافات اللغوية التي أصابت بعض ألفاظ الحقلين، وتفسيرها في ضوء القوانين اللغوية.

المقدمة:

الحمد لله الَّذي أنشأ السَّحاب الثِّقال، وأجرى العذبَ الزُّلالَ، وفجَّر الباردَ السَّلسالَ؛ ليغذوَ به الزَّرع والشَّجر، ويَرُبَّ الحبَّ والثَّمرَ، فله الحمد أوَّلاً وآخراً، والصَّلاة والسَّلام على نبيّه محمَّدٍ الَّذي أرسله بالحقّ شاهداً ومبشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله المختارين وعِترته المنتخبين.

أمّا بعد:

فقد جاء هذا البحث تحت عنوان: "أَلْفَاظُ المَطَرِ والسَّحَابِ فِي لَهْجَةِ الحِجَازِ المُعَاصِرَةِ، وعَلَاقَتُهَا بِالفُصْحَى".

وسيكون في مقدّمة، ومبحثين، سأتحدّث عنهما بالتَّفصيل، إن شاء الله تعالى، ثُمَّ يقفوهما خاتمة أذكر فيها أهمّ النتائج الَّتي توصّلت لها.

ولعلّ عناية الباحث بالدّرس اللهجي الحديث نابعٌ من أسبابٍ، أهمّها:

---

* أستاذ اللغويات المساعد، جامعة شقراء، المملكة العربية السعودية.

١ – أنّ كثيراً من أصول هذه اللهجات المعاصرة يرجع إلى لغاتٍ قديمة حفظتها كتب التراث اللغوي، وأسهمت في تكوين الفصحى؛ فاللهجات الحديثة مصدرٌ أصيلٌ يُهتدى به إلى معرفة اللغات العربيّة القديمة(١).

٢ – معرفة وجوه الأصالة في اللهجات المعاصرة، ومعرفة التغيير الَّذي حدث فيها، وردُّ الفصيح منها إلى جذوره، وبيان الانحرافات اللغويّة الَّتي أصابت اللّغة وتفسيرها في ضوء القوانين اللغويّة.

٣ – اللّغة كائن حيّ يخضع لنواميس الحياة من نموٍّ وهرم، فليس أفضلُ من درس اللّغة الحيّة (العاميّة) درساً موضوعيّاً؛ لتفهُّم النَّواميس الَّتي تعمل للحياة والنموّ والموت؛ لأَنَّ (العاميّة) لغةٌ حرّةٌ متطوّرة، والفصحى لغةٌ كتابيّة مقيّدة بقواعد ثابتة، ومسيّج حولها بسياج شديد(٢).

٤ – التَّقريب بين مستوى الفصحى، ومستوى اللهجة المعاصرة؛ فوجود لغةٍ عاميّةٍ بجانب اللّغة الفصحى ليست بدعاً في العربيّة، وإنَّما هي ظاهرةٌ في أغلب اللُّغات الحيّة الرَّاقية، بل إِنَّ المحقّقين في تاريخ العربيّة من يذهب إلى أَنَّ البيئة في العصر الجاهليّ قد عرفت مستويين من الاستعمال اللغوي، وهم يفرِّقون بين اللّغة الَّتي كان يصطنعها الواحد من الأعراب في كلامه العادي كلَّما خلا بأفراد قبيلته وعشيرته، وبين اللّغة النموذجيّة الرّفيعة الَّتي كانت لسان الخطباء والشُّعراء؛ فهذه لغةٌ تخاطبُ النَّاس في حياتهم العامّة يتكلّمونها بعفوية مطلقة، وتلك لغةُ أدبٍ وشعرٍ لا يؤتاها إِلَّا من أدرك نواحي القوّة والجمال فيها(٣).

أمَّا عن سبب اختيار لهجة الحجاز دون غيرها فليس لميزة فيها وحدها، بل لأَنَّ هذه اللهجة هي لهجة الباحث؛ ممّا يُسهّل البحث فيها، وفكّ رموزها، وتفسير

(١) اللهجات العربيّة في التراث: ١/١٢٨.
(٢) اللهجات وأساليب دراستها: ١١٣.
(٣) مقالة: «بين تفصيح العاميّة وحماية الفصحى». مجلّة المنهل. العدد الرَّابع. ص ٥٣.

غموض تراكيبها، بالإضافة إلى قرب اللهجة الحجازيّة من منابع الفصحى، وبعدها عن بعض المؤثّرات الَّتي أصابت اللهجات الحديثة وانحرفت بها؛ إذ ما تزال اللهجة الحجازيّة تحتفظ بأصول تراثيّة فصيحة، أو فصيحة منسيّة ممّا سجّلته كتب التراث اللغوي.

والباحث لا يقصد من وراء هذا البحث تفصيح العاميّة، أو الرّفع من شأنها، بل يهدف إلى التركيز على الأصيل من اللهجة، وتوثيقه تراثيّاً، وبيان التغييرات الَّتي طرأت على الأصوات وفق القوانين الصّوتيّة، وتراث العربيّة وما حفظه لنا من ظواهر صوتيّة ما تزال باقية وشاهدة على أصالتها وقدمها؛ لذا رغب الباحث في دراسة بعض خصائص هذه اللهجة من خلال دراسة «ألفاظ المطر والسَّحاب» أنموذجاً.

وقد سرتُ في جمع المادّة اللهجيّة لهذا البحث على منهج القدماء؛ إذ جمعتها من بعض القبائل المعاصرة بوادي الحجاز، وتحديداً من ستّ قبائل، هي: بنو سعد[٤]، وهذيل[٥]، وقريش[٦]، وثقيف[٧]، وسُليم[٨]، وحرب[٩].

وقد تمَّ اختيار الرَّاوي من هذه القبائل[١٠] وفق الشّروط التَّالية:

١ – أن يكون عمره فوق الخمسين عاماً.

٢ – أن يكون أمِّيّاً بعيداً عن المؤثرات الثقافيّة.

٣ – خلوّه من عيوب النّطق.

---

(٤) الرواة من قبيلتي الجُمَيعَات، والثِّبتة من قبائل بني سعد.

(٥) الرواة من بني خالد والحساسنة، وهما بطنان من هذيل.

(٦) الرواة من قبيلة المذاكير إحدى قبائل قريش الطائف، وقبيلة الغلالية إحدى قبائل قريش مكة.

(٧) الرواة من قبيلتي النِّدبَة إحدى قبائل ثقيف ترعة، وطويرق إحدى قبائل ثقيف الطائف.

(٨) الرواة من قبيلة الشَّنونَة إحدى قبائل سُليم.

(٩) الرواة من قبيلة عوف إحدى قبائل حرب.

(١٠) مازالت هذه القبائل تحتفظ بمسمياتها القديمة، مع اختلاف مسميات بطونها المعاصرة.

قد أُخذت الألفاظ من رواة القبائل مشافهةً، ثم دُونت كما لُفظت، وسجلت ألفاظ كل قبيلة على حدة.

وكان عدد الرواة عشرين راوياً؛ إذ التقيت بأربعة رواة من كل قبيلة، ماعدا قبيلتي حرب وسُليم، لم ألتق إلّا براويين فقط.

والحجاز هو: الإقليم الغربي بشِبه الجزيرة العربيّة الَّذي يطلُّ على ساحل البحر الأحمر في قسمه الشمالي، والحجاز سياسيّاً إحدى الولايات الَّتي تنقسم إليها المملكة العربيّة السعوديّة، ويقع في الشمال من عسير وإلى الغرب من نجد، ويجاور حدود المملكة الأردنيّة من الشمال. ويطلق بدو الجزيرة اسم الحجاز على المنطقة في الجنوب من الطائف(١١).

سبب التسمية:

و (الحِجاز) بالكسر وآخره زاي: هو جبل ممتدٌّ يحجز بين غَور تِهامة ونجد(١٢).

قال أبو بكر الأنباري: «في الحجاز وجهان:

يجوز أن يكون مأخوذاً من قول العرب: حجز الرّجل بعيره يحجزه؛ إذا شدّه شدّاً يقيّده به، ويقال للحبل حجازاً. ويجوز أن يكون سمّي حجازاً؛ لأنَّهُ يُحتجز بالجبال، يُقال: احتجزت المرأة؛ إذا شدّت ثيابها على وسطها واتّزرت»(١٣).

قال الخليل: «سُمّي الحجازُ حِجازاً لأنَّهُ فصل بين الغَورِ والشَّامِ، وبين البادية»(١٤).

وقد أكثر الشعراء من ذكر الحجاز، واقتدى بهم المحدثون، وسأورد منه قليلاً من كثير من الحنين والتشوّق، قال بعض الأعراب(١٥):

---

(١١) القاموس الإسلامي: ٢/٤١.
(١٢) مراصد الاطّلاع: ١/٣٨٠.
(١٣) الزّاهر في معاني كلمات النَّاس: ٢/٨٨.
(١٤) العين: ٣/٧٠، وينظر معجم البلدان: ٢/١١٨.
(١٥) ينظر معجم البلدان: ٢/١١٩، ومعجم معالم الحجاز: ٢/٢٢٤.

تطاولَ ليلي بالعراقِ ولم يكنْ عَليَّ بأكناف الحجاز يَطولُ
فهلْ لي إلى أرضِ الحجازِ ومن بهِ بعاقبةٍ قبلَ الفواتِ سبيلُ
إذا لم يكن بيني وبينكَ مُرسِلٌ فريحُ الصَّبا منّي إليك رسولُ

المبحث الأوَّل
ألفاظ المطر في لهجة الحجاز المعاصرة

المطر: الماء المنسكب، ويومٌ مطيرٌ وماطرٌ وممطرٌ، ووادٍ مطير، أي: ممطور، يقال: مَطرتنا السماءُ وأمطرتنا، ومطّر وتمَطّر: ذهب في الأرض ذهابَ المطر، وفرسٌ مُتمطِّرٌ؛ أي: سريع كالمطر(١٦).

قال ابن فارس: «الميم والطاء والراء أصلٌ صحيح، فيه معنيان:

أحدهما: الغيث النّازل من السماء، والآخر: جنس من العَدْو.

فالأَوَّل: المطر، وتمطّر الرّجل: تعرّض للمطر، ومنه المستمطر طالب الخير.

والثّاني: قولهم: تمطّر الرّجل في الأرض، إذا ذهب، والمتمطّر: الرَّاكب الفرس يجري به، وتمطّرت به فرسه: جرت»(١٧).

والمطر يعني: النعمة والخير، قال جويرة بن بدر التميمي(١٨):

لعلَّهمُ أن يمطروني بنعمةٍ كما صابَ ماءُ المُزنِ في البلدِ المَحْلِ

ومن أسماء المطر في القرآن الكريم: السَّماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾ [الأنعام: ٦].

وكذلك من أسمائه في القرآن: الغيث، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الشُّورى: ٢٨].

---

(١٦) المفردات في غريب القرآن: ١/ ٤٦٩.
(١٧) مقاييس اللّغة: [م ط ر] ٥/ ٣٣٢.
(١٨) بنو تميم، شعرهم في العصر الجاهلي: ٣٣٢.

ومن أسمائه في القرآن: الوابل، كما قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. قال الطبري في معنى الوابل: وهو المطر الشّديد العظيم(١٩).

ومن أسمائه في القرآن أيضاً: الوَدْق، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النُّور: ٤٣].

قال البغوي: في معنى الودق: يعني المطر(٢٠).

ومن أسمائه كذلك: الصَّيِّب، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

ذكر الطبري بإسناده عن ابن عبَّاس – رضي الله عنهما – قال: الصَّيِّب: المطر(٢١).

وبعد استعراض بعض أسماء المطر في القرآن الكريم، أشرع في ذكر طائفةٍ من ألفاظه في لهجة الحجاز المعاصرة سواء الفصيحة منها، أو مالها علاقة بالفصحى من حيث الدلالة، أو ما طرأ عليها بعض التغيّرات الصّوتيّة.

وسوف أسرد هذه الألفاظ مرتّبة على حروف المعجم بالنّظر إلى الكلمة من أوّلها إلى آخرها، بتجريدها من الزّوائد؛ ليسهل الاطّلاع عليها.

* * *

(١٩) تفسير الطبري: ٣/٦٥.
(٢٠) معالم التنزيل: ٦/٢٧٦.
(٢١) تفسير الطبري: ١/١٤٩.

١ – **(ث ع ل) الثِّعل:** بكسر الثاء المشدّدة وضمّها، يطلق هذا اللّفظ في لهجة الحجاز المعاصرة على الدُّفعة الكثيفة من المطر الَّتي تحرّكها الرِّياح قبل أن تنزل على الأرض. وهذه اللفظة لها علاقة بالفصحى من حيث الدلالة، إذ من معاني هذه اللفظة: الكثرة.

جاء في اللِّسان: «وِرْدٌ مُثْعِلٌ: إذا ازدحم بعضه على بعضٍ من كثرته»(٢٢).

* * *

٢ – **(ج هـ و) أَجْهتِ السَّماء:** يستعملون هذا اللّفظ: إذا انقطع المطر وتوقّف نزوله، ويقولون: السماء مُجْهية. وهذه اللفظة فصيحة وردت عن العرب. قال صاحب العين: «أجهت السماء: إذا انقشع عنها الغيم»(٢٣).

٣ – **(ح ق ن) الحَقَان:** يُطلق أهل المدينة – تحديداً – هذا اللّفظ على المطر ذي القطرة الكبيرة.

وتُعدّ هذه اللّفظة فصيحة وإن تغيّرت دلالتها بعض الشّيء عمَّا ذكره صاحب الجيم، فقد ذكر(٢٤) أَنَّ الحَقَان هو: مستنقع الماء في الوادي، والواحدة منه: حَقَنةٍ، قال الأخطل(٢٥):

لياليَ لا يُجْذِي القَطَا لِفراخِهِ بِذي أَبْهرٍ ماءً ولا بِحَقَانِ

* * *

٤ – **(ح ي ي) الحَيا:** بفتح الحاء، وتخفيف الياء، يطلقه أهل الحجاز على المطر الكثير؛ لأَنَّهُ تحيا به الأرض بعد موتها.

ومن أمثالهم: «الحيا متبوع» أي: إِنَّ المطر يتبعه النَّاس أينما سقط ليرعوا العشب الَّذي ينبته.

---

(٢٢) اللِّسان: [ثعل] ١١/ ٨٤.
(٢٣) العين: [جهو] ٤/ ٦٦.
(٢٤) الجيم: ١/ ١٧٧.
(٢٥) ديوان الأخطل: ص ٢٧٩.

وهذه اللفظة من الألفاظ الفصيحة، قال أبو زيد: «الحيا: المطر الكثير»[٢٦].

وقال ابن الأثير: «الحيا مقصور: المطر؛ لإحيائه الأرض، وقيل: الخِصْب وما يحيى به النَّاس»[٢٧].

وجاء ذكره في الحديث، فقد ذكر ابن أبي الدُّنيا حديثاً ينصّ على أَنَّ (الحيا) بمعنى: المطر، قال: «حدَّثني أبو الحسن أحمد بن عبد الأعلى الشّيباني عن ابن عبّاد المُهلّبي عن موسى بن محمَّد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كانوا عند النَّبيِّ ﷺ في يومٍ دَجِنٍ[٢٨]، فقال: كَيْفَ تَرَوْنَ بَوَاسِقَهَا[٢٩]؟ قالوا: يا رسولَ الله ما أحسنها وأشدّ تراكمها، قال: كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا[٣٠]؟ قالوا: يا رسولَ الله ما أحسنها وأشدّ تمكّنها، قال: كَيْفَ تَرَوْنَ رَحَاهَا[٣١] استدارت؟ قالوا: نعم يا رسولَ الله ما أحسنها وأشدّ استدارتها، قال: كَيْفَ تَرَوْنَ جَونها[٣٢]؟ قالوا: يا رسولَ الله ما أحسنه وأشدّ سواده، قال: كَيْفَ تَرَوْنَ أَخَفْواً[٣٣] أَمْ وَمِيْضاً[٣٤] أَمْ يَشُقُّ

---

(٢٦) كتاب المطر: ص ٣٣.

(٢٧) النِّهاية: ١/٤٧٢.

(٢٨) الدَّجن هو: ظلّ الغيم في اليوم المطير. اللِّسان: [دجن] ١٣/١٤٧.

(٢٩) جمع بَسقٍ. قال أبو عبيد القاسم بن سلّام: «وأَمَّا البواسق، ففروعها المستطيلة إلى وسط السَّماء وإلى الأفق الآخر، وكذلك كلّ طويل فهو باسق». غريب الحديث: ٣/١٠٤.

(٣٠) قال أبو عبيد: «القواعد هي أصولها المعترضة في آفاق السَّماء، وأحسبها شبهة بقواعد البيت وهي حيطانه». غريب الحديث: ٣/١٠٤.

(٣١) قال أبو عبيد: «رحاها: استدارة السَّحابة في السماء، ولهذا قيل: رحا الحرب». غريب الحديث: ٣/١٠٦.

(٣٢) بالضم جمع، وبالفتح مفرد، قال أبو عبيد في غريبه ٣/١٠٥: «هو الأسود اليحمومي».

(٣٣) قال أبو عبيد: «الخفو هو: الاعتراض من البرق في نواحي الغيم وفيه لغتان». غريب الحديث: ٣/١٠٥.

(٣٤) قال أبو عبيد: «الوميض: أن يلمع قليلاً ثُمَّ يسكن وليس له اعتراض». غريب الحديث: ٣/١٠٥.

شَقّاً[٣٥]؟ قالوا: بل يَشُقُّ شَقّاً، فقال رسولُ الله ﷺ: الحَيَا»[٣٦].

* * *

٥ – **(د ي م) الدِّيمة:** مؤنّثة بكسر الدَّال يطلقها أهل الحجاز على المطر المستمرّ دون رعدٍ أو برق إذا استمرّ طويلاً، ومنه قولهم: «دِيْمٌ يخرق الأرض»؛ وذلك لكونه يتعمّق في الأرض أكثر من غيره الَّذي يجِفُّ بلله من الشَّمس أو الهواء دون أن يمكث في الأرض.

وهذه اللَّفظة من الألفاظ الفصيحة الَّتي ورد ذكرها عن العرب.

قال أبو زيد: «الدِّيمة: وهو المطر الدائم الَّذي ليس فيه رعدٌ ولا برقٌ أقلَّها ثُلثُ النَّهار، أو ثلثُ اللّيلِ، وأكثرها ما بلغت من العِدّة، ومن الدِّيمة الهَضْبُ والهَطْلُ»[٣٧].

وقد جرت هذه اللفظة على ألسنة الشُّعراء، يقول امرؤ القيس[٣٨]:

دِيـمـةٌ هَـطْـلاءُ فـيـهـا وَطَـفٌ طَـبَـقُ الأرضِ تَـحَـرّى وتَـدُرْ

* * *

٦ – **(ر ذ ذ) الرَّذاذ:** بفتح الرَّاء وضمِّها، يستعمل أهل الحجاز هذا اللّفظ للمطر الخفيف عندما تكون حبّاته صغيرة متفرّقة. وبعض قبائل حرب يطلقون عليه: (الرَّذْرِذ) ولعلّ ذلك من باب التَّخفيف.

والفصيح منها هو (الرَّذاذ) بالفتح. قال أبو زيد: «الرَّذاذ – بفتح الرَّاء الثّقيلة والذال الخفيفة – فوق القِطْقِط، يقال: قَطْقَطَت السَّماء فهي مُقَطْقِطةٌ، وأرَذَّت السّماء فهي مُرِذَّةٌ إِرْذاذاً»[٣٩].

---

(٣٥) قال أبو عبيد: «وأَمَّا الَّذي يشقّ شقّاً: فاستطالته في الجوّ إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يميناً ولا شمالاً». غريب الحديث: ٣/١٠٥.

(٣٦) كتاب المطر والرّعد والبرق والرِّيح: ص ٥٦ – ٥٧.

(٣٧) كتاب المطر: ص ٣٥.

(٣٨) من [الرّمل] في ديوانه: ص ١٢٥.

(٣٩) كتاب المطر: ص ٣٧.

وقال أبو عبيد: «القِطْقِطُ من المطر: الصِّغار كأنَّهُ شَذَرٌ. والرَّذاذ: فوق الطَّلّ»(٤٠).

وقال ابن سيده: «الرَّذَاذ: فوق الطَّل، وأرض مُرَذٌّ عليها، ولايقال: مُرَذَّةٌ ولا مَرْذُوذة»(٤١).

وقد ورد هذا اللّفظ في بعض أشعار العرب، يقول علقمة(٤٢):

حتَّى تذكَّرَ بَيضاتٍ وهيَّجهُ يومُ رَذاذٍ عليه الرِّيحُ مَغيومُ

* * *

٧ – **(ر ش ش) الرِّشاش:** بكسر الرَّاء المثقّلة، والشين المخففة، يطلقونه على المطر الخفيف قليل القطر، وبعض قبائل هذيل يستعملونه بصيغة الجمع فيقولون: رِشّان. ويعدُّ هذا اللّفظ فصيحاً، قال أبو زيد: «الرَّش – الرَّاء ثقيلة مفتوحة – المطر الخفيف القليل المُلبّد تلبيداً، أرشّت السماءُ تُرِشُّ إرشاشاً، وجِماعُ الرَّشّ: الرِّشاش»(٤٣). وقال الجوهري: «والرَّشُّ: المطر القليل، والجمع رِشاشٌ. ورشَّت السماء وأرشَّت، أي جاءت بالرِّشاش»(٤٤). واستعمالهم لصيغة الجمع قد تكون خاضعة لقانون المغايرة الصوتي الذي يحدث حين تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدها إلى صوت آخر لتتم المغايرة بين الصوتين المتماثلين، ومما لاشك فيه أن هذا القانون الصوتي أو غيره يتفقون في الهدف، وهو تيسير النطق وتحقيق التخفيف، بحسب رؤية الجماعة الصوتية.

* * *

(٤٠) الغريب المصنّف: ١/٤٩٩ – ٥٠٠.
(٤١) المخصّص: ٩/١١١.
(٤٢) من [البسيط] في ديوانه: ص ٣٩.
(٤٣) كتاب المطر: ٣٨.
(٤٤) الصِّحاح: [رشش] ٣/١٠٠٦.

٨ – **(ش ع ف) الشِّعْفُ:** بكسر الشِّين المثقّلة لهجة بني سعد، وبضمّها لهجة قريش وهذيل، ويُطلق على المطر المصحوب بريحٍ شديدة. واللّفظ الفصيح: الشَّعْفَة، بفتح الشِّين المثقّلة.

قال أبو زيد: «الشَّعْفة: المطرة الهيّنة. قال: ومثل للعرب: ما تنفع الشَّعفة في الوادي الرُّغُب[٤٥]، يضرب مثلاً للذي يعطيك قليلاً لا يقع منك موقعاً ولا يسدّ مسدّاً»[٤٦].

وقال الزَّمخشريّ: «الشَّعفة: هي المطرة الهيّنة قبل وجه الصّعيد وأعلاه»[٤٧].

* * *

٩ – **(ص ر د) الصَّرد:** يستعمل أهل الحجاز هذا اللّفظ في البرد مع الغيم والمطر.

والصَّرَد في اللّغة[٤٨]: البرد، وقيل: شدّته، والاسم الصَّرْد مجزوم، قال رؤبة[٤٩]:

بمطرٍ ليس بثلجٍ صَرْدِ

* * *

١٠ – **(غ ش ن) الغَشْنة، والغَشِين:** بالمفرد والجمع، ويطلقان على المطر الضَّعيف المتفرّق، والغشنة: تطلق على المطر السّريع، ومرادفه في الفصحى: الحَلْبة.

وقد جاء في اللِّسان: «تغشَّن الماء ركبه البعر في غديرٍ ونحوه»[٥٠].

وقد تكون «الغشين» محرّفة من «التعسين»؛ فالشين تجانس السِّين في

---

(٤٥) الوادي الرُّغب: الواسع الَّذي لا يملؤه إِلَّا السيل الجُحاف. التَّهذيب: [شعف] ١/ ٤٤٠.
(٤٦) التَّهذيب: ١/ ٤٤٠.
(٤٧) أساس البلاغة: ص ٢٣٧.
(٤٨) ينظر: اللِّسان: [صرد] ٣/ ٢٤٨.
(٤٩) من [الرّجز] في ديوانه: ص ٤٨.
(٥٠) اللِّسان: [غش] ١٣/ ٣١٣.

صفة الرخاوة والهمس، وقد جاء الإبدال بينهما في اللّغة نحو: مضى جَرس من اللّيل وجرش[٥١].

أو لعلّه من التّطوّرات الصّوتيّة لهذه الكلمة الَّتي مرّت بمراحل حصل فيها إبدال بين السِّين والشِّين، ثُمَّ بين العين والغين؛ لأنَّهما من حروف الحلق متقاربتان في المخرج، لاسيما أن هناك علاقة واضحة في الدلالة؛ إذ إن من معاني (التعسين): قلة المطر، قال ابن سيده: "والتعسين: قلة المطر، وكلأٌ مُعسِّن: لم يصبه مطر"[٥٢].

* * *

١١ – **(غ ي ث) الغَيثُ:** يطلق هذا اللّفظ على المطر والكلأ، يقول القائل: لعلّ الله يُنزِّل الغيثَ، ويقصد بالغيث: المطر، وقلّما يستعمل الغيث بمعنى الكلأ: كقولهم: رعينا الغيثَ.

وهذه اللّفظة من الألفاظ الفصيحة، وورد ذكرها في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشُّورى: ٢٨].

قال ابن دريد: «أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال ذو الرُّمة: قاتل الله أَمَة بني فلان ما أعربها! سألتها عن المطر، فقالت: غِثنا ما شئنا: أي أصابنا الغيث»[٥٣].

وقد جرت هذه اللفظة على ألسنة الشُّعراء والخطباء، كقول النَّابغة الذبياني[٥٤]:

وأنتَ الغيثُ ينفعُ ما يَليهِ وأنتَ السَّمُّ خالطهُ اليَرونُ

* * *

(٥١) الإبدال: ص ١٠٩.
(٥٢) المخصص / باب (الأمطار المتفرقة والقليلة) ٢/ ٤٣٨.
(٥٣) وصف المطر والسّحاب: ص ٧٨٠.
(٥٤) من [الوافر] في ديوانه: ص ٢٦٧.

١٢ – **(ف س ر):** في لهجة بعض قبائل الحجاز كبني سعد، وقريش، وهذيل، يقولون عندما ينظرون إلى المطر أتوقّف أم لا؟ فسّر المطر: أي توقّف. وهذا اللّفظ يوافق إحدى دلالات لفظ (الفَسْر) الفصيحة، وهي النّظر إلى الماء. قال الجوهري: «والفَسْرُ: نظر الطّبيب إلى الماء. وكذلك التَّفْسِرة، وأظنّه مولّداً»(٥٥).

* * *

١٣ – **(ق ذ م ل) القَذْمَلة:** لم أقف على هذا اللّفظ إلّا في لهجة ثقيف، ويطلقونه على المطر الخفيف المتفرّق المستمرّ، وهو بهذا مرادف للرَّذاذ، ويزيد عنه بصفة الاستمراريّة.

ولعلّ هذا اللّفظ مخفّفٌ من (القُذَعْمِلَة) بحذف العين؛ فالقذعملة كلمة فصيحة. فقد جاء في اللِّسان: «ما في السّماء قذعملة: أي شيء من السَّحاب وهو الشّيء اليسير ممّا كان. وما أصبت منه قذعميلاً: أي ما أصبت منه شيئاً»(٥٦).

* * *

١٤ – **(هـ ت ن) الهتّان:** صيغة مبالغة من (الهتن) ويطلق على المطر الضَّعيف، فهو مرادف للرِّشاش تقريباً، وهذيل تبدّل التَّاء ثاءً، فيقولون: هثّان.

والهتن في اللّغة: المطر. قال الأزهريّ: «يقال: هتنت السماء تهتن هتناناً، وعينٌ هتونُ الدّمع، وجمعه: هُتُن»(٥٧).

وقيل: إنَّ النُّون في «هتنت» بدلاً من اللام، والأصل: هتلت. وردّ ذلك ابن جنّي، إذ يقول: «ومن ذلك قولهم: هتلت السماء، وهتنت: هما أصلان؛ ألا تراهما متساويين في التصرّف، يقولون: هتنت السماء تهتن تهتاناً، وهتلت تهتِل تِهتالاً، وهي سحائب هُتَّن، وهُتَّل؛ قال امرؤ القيس(٥٨):

---

(٥٥) الصِّحاح: [فسر] ٢/ ٧٨١.
(٥٦) اللِّسان: [قذعمل] ١١/ ٥٥٤.
(٥٧) التَّهذيب: [هتن] ٦/ ٢٣٧.
(٥٨) من [الطّويل] في ديوانه: ص ٢٣٠.

فسحَّت دُمُوعي في الرِّداءِ كأنَّهَا كُلَى من شَعيبٍ ذَات سَحٍّ وتَهْتَانِ

وقال العجّاج[٥٩]:

عَزَّزَ منه وهو مُعطِي الإِسْهالْ

ضَربُ السَّواري مَتْنَهُ بالتَّهْتَالْ»[٦٠].

وقد وردت لفظة (هتَّان) على لسان لبيد، إذ يقول[٦١]:

عفاهُ كلُّ هتّانِ عَسوفِ الوَبْلِ هَطّالِ

* * *

١٥ – **(هـ ط ل) الهَطَّالُ:** صيغة مبالغة من (الهطل) وتطلقه بعض قبائل الحجاز، كقبيلة حرب على المطر الغزير المؤثّر.

والهطل في اللّغة: تتابع المطر والدّمع وسيلانه. يقال: هطلت السَّماء تهطل هَطْلاً وهَطَلاناً وتِهْطَالاً. وسحابٌ هَطِلٌ، ومطرٌ هَطِلٌ: كثير الهطلان، وسحائبُ هُطْلٌ: جمع هاطل. وديمة هَطَلاء، ولا يقال: سحابٌ أهطل[٦٢].

وقد وردت لفظة «هَطّال» على لسان الخنساء، إذ تقول[٦٣]:

سقى الإلهُ ضَريحاً جَنَّ أَعْظَمَهُ وروحهُ بِغزِيرِ المُزْنِ هَطّالِ

* * *

١٦ – **(هـ م ل) الهَمَّال:** صيغة مبالغة من (الهَمْل) وتطلقه قريش، وهذيل، وسُليم على المطر الخفيف الدَّائم، وهو مرادفٌ للديمة.

---

(٥٩) من [الرجز] في ملحق ديوانه: ٨٦.
(٦٠) الخصائص: ٢/٨٢ – ٨٣.
(٦١) من [الهزج] في ديوانه: ٣٥٢.
(٦٢) ينظر: الصِّحاح: [هطل] ٥/١٨٥٠.
(٦٣) شعر الخنساء: ص ١٠٩.

وقد جاء في اللِّسان: «هَمَلَت السَّماء هَمْلاً وهَمَلاناً، وانهملت: دام مطرها مع سكونٍ وضعفٍ»(٦٤).

* * *

١٧ – **(و ب ل) الوَبْل، والوَابِل:** يطلقان على المطر الشَّديد، يقال: أصابنا وبْلٌ، وأصابنا وابلٌ: أي مطر غزيرٌ شديد.

واللفظتان فصيحتان، حيث ورد ذكر (الوابل) في القرآن الكريم كما أشرنا في المقدّمة، كما أورده أبو زيد في كتاب الأمطار(٦٥)، إذ يقول: «الوابل – وهو أغزر المطر وأعظمه قطراً يُقال: وَبلت الأرض وَبْلاً فهي مَوبُولة، ويقال: وَابلٌ سَاحيةٌ وساحيةٌ وابلٌ، وهو المطر الَّذي يسحا ما أتى عليه فيسيل به».

وقال ابن دريد: «والوابل: المطر للكبار القطر، الشّديد الوقع»(٦٦).

وقال ابن منظور: «الوَبْل والوابل المطر الشّديد الضَّخم القطر»(٦٧).

وقد جرت اللفظتان على ألسنة الشُّعراء، يقول المُثَقِّبُ العَبدي(٦٨):

سقى تلك من دارٍ ومَن حَلَّ رَبْعَها ذِهابُ الغوادي وَبْلُها ومُدِيمُها

وقال النَّابغة الذّبياني(٦٩):

سقى الغيثُ قبراً بين بُصرى وجاسمٍ بغيثٍ من الوسميّ قطرٌ ووَابلُ

* * *

١٨ – **(و س م) الوسميُّ:** المطر الَّذي ينزل في آخر الخريف وأوّل الشِّتاء، وهو مطر يسمُ الأرض بالنّبات. قال أبو الحسن الهنائي: «أَوَّل ما يبدأ المطر في

(٦٤) اللِّسان: [همل] ١١/ ٧١٠.
(٦٥) ص ٥٠.
(٦٦) وصف المطر والسّحاب: ص ١٧.
(٦٧) اللِّسان: [وبل] ١١/ ٧٢٠.
(٦٨) من [الطّويل] في ديوانه: ٢٣٤.
(٦٩) من [الطَّويل] في ديوانه: ص ١٩٠.

إقبال الشتاء فاسمه الخريف، وهو الَّذي يأتي عند خَرْفِ النَّخل، وهو قطع ثمره، ثُمَّ يليه الوسميّ وهو أَوَّل الرّبيع، وهذا عند دخول الشتاء»[٧٠].

وقال ابن فارس: «أَوَّل المطر: الوسميّ؛ لأنَّهُ يسمُ الأرض بالنّبات»[٧١].

وقد دارت هذه اللّفظة على ألسنة الشّعراء كثيراً. يقول ذو الرُّمّة[٧٢]:

بأرضٍ هِجَانِ التُّربِ وسميَّةِ الثرى غَدَاةَ نَأت عنها الملوحةُ والبحرُ

* * *

١٩ – **(و ش ق) الواشقة:** لم أقف على هذا اللّفظ إلّا في لهجة ثقيف، ويطلقونه على الدُّفعة السّريعة من المطر الَّتي لا تدوم طويلاً، فتكون غير مجدية للأرض، ولها علاقة بالفصحى من حيث الدِّلالة العامة، إذ (الوشق) بمعنى السّرعة والخفّة.

قال ابن سيده: «وسير وشيق: خفيف سريع»[٧٣].

وقال ابن منظور: «الواشق: القليل من اللبن، وسير وشيق: خفيف سريع»[٧٤].

ووفقاً لهذا الشرح يكون استعمال (الواشقة) بذلك المعنى من قبيل تغير مجال الدلالة.

* * *

المبحث الثّاني
ألفاظ السَّحاب

وقد جعلتُ هذا المبحث في مطلبين، هما:

المطلب الأَوَّل: الألفاظ الحجازيّة الَّتي تطلق على السَّحاب.

---

(٧٠) المنتخب: ٢/٤٤٢.
(٧١) متخير الألفاظ: ١٥٣.
(٧٢) من [الطَّويل] في ديوانه: ص ٢٠٧.
(٧٣) المحكم: [وشق] ٦/٣٢٠.
(٧٤) اللِّسان: [وشق] ١٠/٣٨١.

المطلب الثَّاني: الألفاظ الحجازيّة الَّتي تطلق على ظاهرة الضَّباب.

المطلب الأَوَّل – الألفاظ الحجازيّة الَّتي تطلق على السَّحاب:

من الظَّواهر الطبيعيّة الدالّة على عظمة الخالق: السَّحاب، وما يصحبه من مطرٍ وبرقٍ ورعدٍ ورياح.

والسَّحاب في اللّغة معناه: الغيم[٧٥] سواء أكان فيه ماءٌ أم لم يكن، والجمع: سُحُب، والقطعة منه سحابة، وجمعها سحائب، وقد ترد لفظة (السَّحاب) بمعنى المطر، فهو من المشترك اللفظي، كما في قول الشَّاعر الجاهلي الحارث بن حِلِّزة اليشكري من قصيدة يفتخر فيها[٧٦]:

ولَئِن سألتِ إذا الكتيبةُ أحجمتْ وتَبيَّنتْ رِعَةُ الجَبَانِ الأهوَجِ

وحسبتِ وقعَ سيوفِنا بِرؤوسِهم وقعَ السَّحابِ على الطِّرَافِ المُشْرَجِ

وسأذكر في هذا المطلب طائفةً من ألفاظ السَّحاب الَّتي يستخدمها أهل الحجاز في العصر الحاضر مرتّبة على حروف المعجم، مجرّدة من الزوائد، كما فعلت في ألفاظ المطر.

* * *

١ – **(ج هـ م) الجَهَام:** هذا اللّفظ يطلقه أهل الحجاز على السَّحاب الَّذي لا ماء فيه. وهو من الألفاظ الفصيحة الواردة عن العرب، قال أبو زيد: «الجَهَام – بفتح الجيم والهاء – مثل الجَفْل[٧٧]، وواحدته جَهَامةٌ»[٧٨]. وقال أبو منصور الثّعالبي: «فإذا هراق ماءه، فهو الجهام. ويقال: بل هو الَّذي لا ماء فيه»[٧٩].

---

(٧٥) ينظر: الصِّحاح: [سحب] ١/١٤٦.

(٧٦) من [الكامل] في ديوانه: ص ٤٣، وينظر: المفضليات: ص ٢٥٦.

(٧٧) الجَفْل: هو كلّ سحابٍ ساقته الرّيح وقد صبَّ ماءه. كتاب الأمطار: ص ٦٨.

(٧٨) كتاب المطر: ص ٦٩.

(٧٩) فقه اللّغة: ص ٣٠٣.

واستخدم الشُّعراء هذا اللّفظ كثيراً في أشعارهم، ومن ذلك قول امرئ القيس[٨٠]:

تـروحُ إذا راحـتْ رَواحَ جَـهَـامـةٍ بـإِثـرِ جَـهَـامٍ رَائـحٍ مُـتَـفَـرِّقِ

* * *

٢ – **(خ ي ل) المَخِيلَةُ، والمَخِيل:** بالإفراد واسم الجنس الجمعي، يرادفان السَّحابة والسَّحاب عند أهل الحجاز.

والمخيلة: موضع الخَيْل، وهو الظَّنّ، كالمظنَّة وهي السَّحابة الخليقة بالمطر[٨١]، وجمعها: مخايل. قال ابن أبي الدُّنيا: «حدَّثنا محمَّد بن يزيد نا[٨٢] وكيع نا همّام بن يحيى عن سلم العلوي قال: كنّا عند أنس فقال رجل: إنّها لمخيلة المطر، فقال أنس: إنَّها لربّها لمطيعة»[٨٣].

وقال ابن السكيت: «وتقول: قد خيّلتِ السماءُ للمطر، والسماءُ مخِيلة للمطر. وما أحسن مخيلتها وخالها، أي خلاقتها للمطر»[٨٤].

* * *

٣ – **(س ح ب) السّحابة والسَّحاب:** بالمفرد والجمع، من الألفاظ الشائعة الَّتي يستخدمها أهل الحجاز عامّة.

قال ابن فارس: «السِّين والحاء والباء أصلٌ صحيح يدلّ على جرّ شيء مبسوطٍ ومدّه، وسُمِّيَ السّحابُ سحاباً تشبيهاً له بذلك، كأنَّه ينسحب في الهواء انسحاباً»[٨٥].

وقد وردت لفظة (سحاب) في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطُّور: ٤٤].

* * *

(٨٠) من [الطَّويل] في ديوانه: ص ١٥٦.
(٨١) النهاية: ٢/٩٣.
(٨٢) رمزٌ لكلمة (أخبرنا)، وهذا دأب المحدِّثين.
(٨٣) كتاب المطر والرّعد والبرق والرِّيح: ص ٦٦.
(٨٤) إصلاح المنطق: ص ٣٧١.
(٨٥) مقاييس اللّغة: [سحب] ٣/١٤٢.

٤ – **(س ح ق) السَّحْقُ، والسَّاحِق:** تُطلق بعض قبائل الحجاز كثقيف، وبني سعد هاتين اللفظتين على السَّحاب الرّقيق، فالسحق: سحابٌ رقيقٌ خفيفٌ متفرقٌ في السماء، والساحق كذلك إلا أنه ينتشر حول السحب الممطرة. ولها علاقة بالفصحى من حيث الدلالة؛ إذ من معاني (السحق) الدَّقُّ الرقيق. قال ابن سيده: «السَّحق: الدَّقُّ الرّقيق»(٨٦). فكلاهما يشترك في صفة النعومة والرقة. وقد تكون محرّفة عن السمحاق.

قال أبو الحسن الهنائي: «وبنات مخر وبنات بخر: سحائب يأتين قبل الصّيف رِقاق منتصبات، والسماحيقُ: نحوٌ منه»(٨٧).

وقال ابن منظور: «وسماحيق السماء القِطع الرّقاق من الغيم»(٨٨).

* * *

٥ – **(ع ط ن) العَطْنةُ:** تطلقه ثقيف على السَّحابة الكثيفة.

والعَطَن في اللّغة: واحد الأعطان، وهي مبارك الإبل عند الماء لتشرب علَلاً بعد نهلٍ، فإذا استوفت رُدّت إلى المراعي، وعَطَنَت الإبل، إذا رويت ثُمَّ بركت، فهي إبلٌ عاطنةٌ وعواطن(٨٩).

والعرب تجمع بين المطر والإبل، فسمّوا ماء السماء درّاً، وجعلوا للسحب برْكاً وصدراً كصدر الجمل(٩٠).

ولعلّ ثقيف سمّت السَّحابة الكثيفة عَطْنةً تشبيهاً لها ببرك الإبل.

* * *

٦– **(غ م م) الغَمامة والغَمام:** بالإفراد، واسم الجنس الجمعي يطلقهما أهل الحجاز على السَّحاب الَّذي يحجب السماء.

---

(٨٦) المحكم: [سحق] ٢/٣٩٢.
(٨٧) المنتخب: ٢/٤٤٢.
(٨٨) اللِّسان: [سحق] ١٠/١٥٥.
(٨٩) الصِّحاح: [عطن] ٦/٢١٦٥.
(٩٠) الإبل في الشِّعر الجاهلي: ١/٢٦١.

قال أبو زيد: «الغمام: واحدتها غمامة، وهي: الغرّاء البيضاء من السَّحاب، وجِماعه الغرَّاء: الغُرُّ»(٩١).

وقال أبو منصور الثعالبي: «فإذا تغيّرت له السماء فهو الغمام»(٩٢).

وقد جرت لفظة (الغمام) على ألسنة الشُّعراء، ومن ذلك قول أبي طالب بن عبد المطّلب(٩٣):

وأبيض يُستسقى الغمامُ بِوجهِهِ ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ

* * *

٧ – **(غ ي م) الغَّيْمُ:** تطلق قبائل الحجاز عامّة هذا اللّفظ على السَّحاب الَّذي يحجب شُعاع الشّمس. والجمع: غيوم، وقد غامت السماء تغيم غيماً(٩٤). قال أبو زيد: «الغيم، وجِماعه الغيوم، وهو يكون في قليل السَّحاب وكثيره»(٩٥).

وقد تغنّى الشُّعراء به في أشعارهم، قال طرفة بن العبد(٩٦):

إنّا إذا ما الغيمُ أمسى كأنَّهُ سَماحيقُ ثَربٍ وهي حمراءُ حَرجَفِ

* * *

٨ – **(م ز ن) المِزْنَة بكسر الميم، والمزون:** بالمفرد والجمع، تطلق قبائل الحجاز هاتين اللفظتين على السَّحاب الأبيض الريّان بالماء.

ولفظة (مِزنة) بكسر الميم تخالف ما أورده علماء اللّغة في مصنّفاتهم، حيث وردت – بضم الميم، وسكون الزاي – من السَّحاب البيض واحدتها مُزْنة»(٩٧).

---

(٩١) كتاب المطر: ص ٧٧.
(٩٢) فقه اللّغة: ص ٣٠٢.
(٩٣) من [الطَّويل]، ينظر: طبقات فحول الشّعراء: ٢٠٤.
(٩٤) ينظر: التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء: ٢/ ٤٣٠.
(٩٥) كتاب الأمطار: ص ٧٨.
(٩٦) من [الطَّويل] في ديوانه: ص ٥٥.
(٩٧) كتاب المطر: ص ٨٠.

وجاء في اللِّسان: «المُزْنة: السَّحابة البيضاء، والجمع مُزْنٌ»(٩٨).

كما ورد اللّفظ في القرآن الكريم بالضمّ أيضاً، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩].

كما ورد في الشِّعر بالضمّ كذلك، قال عامر بن جُوين الطائيّ(٩٩):

فــلا مُــزْنــةٌ وَدَقَــت وَدْقَــهــا ولا أرضَ أبــقَــلَ إبــقــالَــهــا

وتفسير هذه المخالفة يُعزى إلى ظاهرة الكسر الَّتي أشار إليها القدماء في لهجة أهل الحجاز، قال السُّيوطي: «أهل الحجاز ينطقون كلمة: إِسوة، وقِدوة، وعِدوة، وعِشوة. بكسر أوائلها، وتميم تنطق هذه الكلمات بضمّ أوائلها، ذكر ذلك اليزيدي في نوادره»(١٠٠).

وقال أبو زرعة: «قرأ عاصم ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] بضمّ الألف حيث كان، وقرأ الباقون بكسر الألف، وهما لغتان»(١٠١).

أمَّا لفظة «مزون» فالأصل: مُزْنٌ، فحرّكت الزّاي بالضم؛ لكي يجانس حركة الصّوت السَّابق له، وهو الميم المضمومة، وهذه المماثلة الحركيّة جاءت ليتحقّق الانسجام الصوتيّ بين حركات الكلمة، ثُمَّ أُشبعت حركة الزّاي؛ ممّا أدّى إلى ظهور هذه الواو الَّتي نراها بعدها.

* * *

٩ – **(ن ش أ) المَنْشَا بتخفيف الهمز:** تطلق بعض قبائل الحجاز كهذيل وقريش هذا اللّفظ على السَّحاب الَّذي يظهر من جهة المغرب، وقد حملهم على هذا القول اعتقادهم أَنَّ المنشأ هو جهة المغرب، وكونهم يشاهدون سير السَّحاب من جهة الغرب فظنّوا أَنَّ منشأه من هناك. والسَّحاب ينشأ في كلّ جهة،

(٩٨) اللِّسان: [مزن] ١٣/٤٠٦.
(٩٩) من [المتقارب] وهو في الكتاب: ٢/٤٦.
(١٠٠) المزهر: ٢/٢٧٧.
(١٠١) حجّة القراءات: ص ٥٧٥.

فكما ينشأ جهة الغرب عندهم، فإِنَّه قد ينشأ في جهة المشرق منهم ولكنّه إذا كان كذلك لا يمرّ بهم.

والمنشأ اسم مكان من (النشأ) أو (النشيء)، والنشيء: أَوَّل ما ينشأ السَّحاب[١٠٢].

وقال أبو عليّ المرزوقي: «ثُمَّ يكون (النشأ) من قبل العين، فيحسن خروجه والتيامه»[١٠٣].

* * *

١٠ – **(ن و أ) النَّوُّ**: وتستعمله بعض قبائل الحجاز كثقيف، وبني سعد مرادفاً للسَّحاب المطير، وبعض قبائل الحجاز كهذيل، وسُليم تطلقه على المطر، فهو من المشترك اللفظي.

والنَّوُّ: أصله النَّوء، قُلبت الهمزة فيه واواً، ثُمَّ أدغمت في الواو من أجل التّخفيف. قال الرَّضيّ: «ويخفّف نحو شيء وسوء في حال الوصل بالنّقل والحذف، وهو الأصل، والقلب والإدغام على قول بعضهم»[١٠٤].

لقد كانت دلالة لفظ (النوء) قديماً للزّمن الَّذي يحصل فيه السَّحاب والمطر عند مغيب نجم ما، أو طلوعه. ثُمَّ انتقل اللّفظ من دلالته تلك إلى الدلالة على السَّحاب الَّذي يكون في ذلك الزَّمن، ثُمَّ حصل تطوّر آخر حيث أصبح النوء يطلق على عموم السَّحاب، كما هو في الاستعمال الآن. وعند البحث عن سرّ هذا التطوّر نجد أَنَّ العلاقة الزّمانيّة هي الَّتي تربط الدلالتين. وقد تنبّه البلاغيون لهذا الاستعمال اللغويّ، وسمّوه المجاز، بينما أطلق عليه علماء اللّغة المحدثون مصطلح التطوّر الدلالي للفظة[١٠٥].

---

(١٠٢) ينظر: متخيّر الألفاظ: ص ١٥٢.

(١٠٣) الأزمنة والأمكنة: ٩٣/١ – ٩٤.

(١٠٤) شرح شافية ابن الحاجب: ٤٣/٣.

(١٠٥) ألفاظ المطر والسَّحاب وما يتّصل بهما قديماً وحديثاً: ص ١٣١.

المطلب الثَّاني – الألفاظ الحجازيّة الَّتي تطلق على ظاهرة الضَّباب:

يعدُّ الضباب والسَّحاب من مظاهر التكاثف. وما الضباب إلَّا سحاب معلّقٌ بين طبقات الهواء السُّفلى ينشأ بسبب البرودة فيتكاثف بخاره فيكوّن لنا ظاهرة الضباب المعروفة، أمَّا السَّحاب فينشأ بسبب ارتفاع الهواء إلى حيث يبرد فيتكاثف بخاره فتحمله الرِّياح من بلدٍ إلى بلدٍ آخر بشرى للخلق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٨ – ٤٩].

والَّذي دعاني لفصل مطلب (ألفاظ الضباب) عن مطلب (ألفاظ السَّحاب) هو أَنَّ لهذه الظاهرة أسماءً مختلفة عند قبائل الحجاز، فرأيت أن أجعله في مطلبٍ مستقلّ.

والضَّباب هو: شَبَهُ الدُّخان، والنّدى يُظلِّل السماء واحدتُهُ ضَبابة: يُقال: قد أضَبَّت السماء فهي مُضِبَّةٌ(١٠٦).

وفيما يلي بعض ألفاظه مرتّبة على حروف المعجم:

* * *

١ – **(ب ق ع) البِقَاعُ بكسر الباء، وضمّها:** هذا اللّفظ تستعمله قبائل بني سعد لظاهرة الضباب، وبالكسر فقط لهجة سُليم بالإضافة إلى تسمية أخرى وهي: أبو بُقيع.

و (البِقاع) جمع بُقعة، و (أبو بقيع) تصغير: بُقَع. فالضّباب عند نزوله على الأرض يكون على شكل بقعٍ، تنعدم الرؤية في بعضها، وتتّضح في بعضها الآخر.

فعلاقة هاتين اللفظتين بالفصحى من حيث الدلالة فقط. قال الأزهريّ: «إذا

(١٠٦) كتاب المطر: ص ٧٤.

انتضح الماء على بدن المستقي من رَكيّة ينزع منها بالعلق فابتلّت مواضع من جسده قيل: قد بقّع. ومنه قيل للسُّقاة: بُقْعٌ»[١٠٧].

وقال ابن منظور: «وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –[١٠٨] أَنَّهُ رأى رجلاً مُبَقَّعَ الرِّجلين، وقد توضأ يريد به مواضع في رجليه لم يصبها الماء فخالف لونها لون ما أصابه الماء»[١٠٩].

* * *

٢ – **(ر ب ض) الرَّابِضةُ:** هذا اللّفظ تستعمله ثقيف. فالعرب يشبّهون السَّحاب بمبارك الإبل كما ذكرنا آنفاً، فالضّباب حينما يقترب من الأرض كأنَّهُ ما ولي الأرض من البعير إذا برك، وربما كان هذا سبب التّسمية. قال صاحب العين: «رَبَضُ البَطن: ما ولي الأرض من البعير وغيره، ويجمع على أرَباض»[١١٠]. فالعلاقة بين هذا اللّفظ والفصحى من حيث الدلالة، فكما تربض الدّابّة على الأرض، يربض الضّباب أيضاً.

قال ابن منظور: «ربضت الدَّابّة والشّاة والخروف تربض رَبْضاً ورُبُوضاً ورِبْضةً حسنة، وهو كالبروك للإبل... وربض الأسد على فريسته، والقِرن على قِرْنِه»[١١١].

* * *

٣ – **(ط خ ف) الطُّخَيفُ بالتّصغير:** تستعمل هذا اللّفظ قبائل قريش وهذيل.

---

(١٠٧) التَّهذيب: [بقع] ١/ ٢٨٥.

(١٠٨) ونصّ الحديث: «أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – رَأَى رَجُلاً مُبَقَّعَ الرِّجْلَيْنِ، فَقَالَ: أَحْسِنُوا الْوُضُوءَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ». مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢/ ٤٠٦.

(١٠٩) اللِّسان: [بقع] ٨/ ١٨.

(١١٠) العين: [ربض] ٧/ ٣٥.

(١١١) اللِّسان: [ربض] ٧/ ١٤٩.

والطُّخيف تصغير: الطَّخَاف، وهو فصيحٌ، قال أبو عبيد: «والعَمَاءُ والطَّهاءُ والطَّخَاءُ والطَّخافُ كلّه السَّحاب المرتفع»(١١٢).

وقال أبو منصور الثّعالبي: «فإذا ارتفع وحمل الماء، وكثف وأطبق، فهو العَمَاء، والعَمَاية، والطَّحاء، والطَّخاء، والطَّخَافُ، والطَّهاءُ»(١١٣).

* * *

٤ – **(ع م ش) عُميشٌ:** تستعمل هذا اللّفظ قبائل حرب. و (عُميش) تصغير: (عَمَشٌ)، والعَمش في اللّغة: ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها(١١٤). وظاهرة الضّباب تؤدّي إلى ضعف الرؤية أيضاً، ومن ثم هناك علاقة بينهما من حيث الدلالة.

الخاتمة:

الحمد لله الَّذي بفضله تتمُّ الصَّالحات، وتكمل المكرمات، وتذلّلُ العقبات، أحمده تعالى وأشكره أن أتمَّ عليَّ إنجاز هذا البحث.

فبعد أن تفيأ الباحث ظلال هذا البحث الشيِّق، توصَّل إلى النتائج التَّالية:

١ – وجدت كثيراً من ألفاظ المطر والسَّحاب في لهجة الحجاز المعاصرة فصيحة لفظاً ومعنى، وهذا دليلٌ على قُرب هذه اللهجة من منابع الفصحى في هذين الحقلين.

٢ – اختلاف نطق بعض الأصوات عمَّا حدَّده القدماء، كلفظة (مِزنةَ) بكسر الميم؛ إذ من خصائص اللهجة الحجازية كسر ما كان على وزن: فُعْلة، كإِسْوة، وقِدْوة.

٣ – حذف الهمز، أو تسهيله بالقلب والإبدال، كلفظة (النّو)، ولفظة (المنشا)؛ إذ من خصائص اللهجة الحجازيّة تسهيل الهمز.

---

(١١٢) الغريب المصنّف: ٢/٤٩٥.

(١١٣) فقه اللّغة: ٣٠٢.

(١١٤) الصِّحاح: [عمش] ٣/١٠١٢.

٤ – ألفاظ توسعت مجال دلالتها، أو تخصّصت دلالتها، أوانتقلت إلى مجالٍ آخر، كلفظة: القذملة، والثعل، والسحق، والفسر، والرابضة.

٥ – تعدّدت الألفاظ الدالّة على معنى واحد، وهو ما يطلق عليه في اصطلاح اللغويين بالمترادفات، كالديمة، والهَمّال.

٦ – تدلّ بعض الألفاظ على المطر والسَّحاب، فهي من المشترك اللفظي، كالسَّحاب والنَّوِّ.

٧ – تميز لهجة ثقيف ببعض الألفاظ الفصيحة الخاصة بها عن باقي قبائل الحجاز (سواء في ألفاظ المطر، أو السحاب، أو الضباب).

المصادر والمراجع

- ابن أبي الدُّنيا الحافظ أبو بكر، عبد الله بن محمد. (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م). **كتاب المطر والرعد والبرق والريح**. تحقيق وتخريج: طارق محمَّد سكوع العمودي. ط الأولى. دار ابن الجوزي.
- ابن الأثير، الإمام مجد الدِّين أبي السّعادات المبارك بن محمَّد الجزري. (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م). **النِّهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود محمَّد الطناحي. ط الأولى. دار إحياء الكتب العربيّة (عيسى البابي الحلبي وشركاه).
- ابن السِّكِّيت، أبو يوسف يعقوب. (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م). **الإبدال**. تقديم وتحقيق: د. حسين محمَّد محمَّد شرف، مراجعة: الأستاذ عليّ النّجدي ناصف، مجمع اللّغة العربيّة. القاهرة: الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة.
- ابن السِّكّيت، يعقوب بن إسحاق. (بدون). **إصلاح المنطق**. شرح وتحقيق: أحمد محمَّد شاكر، وعبد السَّلام هارون. ط الرَّابعة. دار المعارف: القاهرة.
- ابن جنّي، أبو الفتح. (بدون). **الخصائص**. تحقيق: محمَّد عليّ النجَّار. دار الكتاب العربيّ: بيروت.
- ابن حنبل، الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد. (بدون). **المسند**. الأحاديث مُذيّلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها. مؤسَّسة قرطبة: القاهرة.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م). **كتاب وصف المطر والسَّحاب وما نعته العرب الروّاد من البقاع**. حقّقه وقدَّم له: عزّ الدِّين التنوخي. مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق.
- ابن زنجلة، أبو زرعة. (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). **حجّة القراءات**. تحقيق: سعيد الأفغاني. ط الثّانية. مؤسَّسة الرِّسالة: بيروت.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م). **المحكم**

والمحيط الأعظم في اللّغة. تحقيق: مصطفى السقَّا. و د. حسين نصَّار. ط الأولى. مكتبة مصطفى أحمد الباز التجاريّة. مكّة المكرَّمة.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (بدون). **المخصّص**. لابن سيده. دار الفكر: بيروت.
- ابن عاشور، فضيلة الشَّيخ محمَّد الطَّاهر. (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م). **ديوان النّابغة الذبياني**. ط الأولى. دار السَّلام: القاهرة. ودار سحنون: تونس.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل. (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م). **لسان العرب**. ط الأولى. دار صادر: بيروت.
- أبو سويلم، الدكتور أنور. (١٩٨٣م). **الإبل في الشِّعر الجاهلي**. دار العلوم: الرِّياض.
- الأزهري، أبو منصور. (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م). **تهذيب اللّغة**. تحقيق: عبدالسَّلام هارون وآخرون. ط الأولى. المؤسَّسة المصريّة العامّة للتأليف والأنباء والنَّشر. طبع الدَّار القوميّة العربيّة: القاهرة.
- الإستراباذي، الشَّيخ رضيّ الدِّين محمَّد بن الحسن. (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م). **شرح شافية ابن الحاجب**. تحقيق: محمود نور الحسن وزميليه. دار الكتب العلميّة: بيروت.
- الأصفهاني، أبو عليّ المرزوقي. (١٣٣٢هـ). **كتاب الأزمنة والأمكنة**. طبع مجلس دائرة المعارف: الهند.
- الأنباري، أبو بكر. (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م). **الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس**. تحقيق: د. حاتم صالح الضَّامن. ط الأولى. مؤسَّسة الرِّسالة: بيروت.
- الأنصاري، أبو زيد. (١٤١٤هـ). **كتاب المطر**. إعداد: د. فاطمة الأمين جمعة. مطابع جامعة الملك سعود.
- البروسي، وليم بن الورد. (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م). **ديوان رؤبة بن العجاج**. ط الثّانية. دار الآفاق الجديدة: بيروت.

- البستاني، أكرم. ١٩٦٣م. **شعر الخنساء**. مكتبة صادر: بيروت.
- البغدادي، صفيّ الدِّين. (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م). **مراصد الاطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. تحقيق وتعليق: عليّ محمَّد البجاوي. ط الأولى. نشر: دار المعرفة: بيروت.
- البغوي، أبو محمَّد الحسين. (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م). **معالم التَّنزيل**. حقّقه وخرّج أحاديثه: محمَّد عبداللّه النّمر وزميلاه. ط الرَّابعة. دار طيبة للنّشر والتَّوزيع.
- البلادي، عاتق بن غيث. (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م). **معجم معالم الحجاز**. ط الأولى. دار مكّة.
- الثبيتي، عبدالملك بن عيضة. (١٤١٠هـ). **ألفاظ المطر والسحاب وما يتصل بها قديماً وحديثاً**. رسالة ماجستير بإشراف أ. د. أحمد علم الدين جندي. جامعة أم القرى.
- الثَّعالبي، الإمام أبو منصور. (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م). **فقه اللّغة وأسرار العربيّة**. ضبطه وعلّق حواشيه وقدَّم له ووضع فهارسه: د. ياسين الأيوّبي. ط الثّانية. المكتبة العصريّة: صيدا. بيروت.
- الجمحي، ابن سلّام محمد. (بدون). **طبقات فحول الشُّعراء**. شرح: محمود محمَّد شاكر. مطبعة المدني: القاهرة.
- الجمحي، أبو عبيد القاسم بن سلام. (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م). **الغريب المصنَّف**. حقَّقه: د. محمَّد المختار العبيدي. المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون. ط الثّانية. دار سحنون للنَّشر والتَّوزيع: تونس.
- الجندي، د. أحمد علم الدِّين. (بدون). **اللّهجات العربيّة في التراث**. دار الكتاب العربيّ: ليبيا. تونس.
- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد. (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م). **الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة**. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار. ط الثّالثة. دار العلم للملايين: بيروت.

- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت. (بدون). **معجم البلدان**. دار إحياء التراث العربيّ. ومؤسسة التَّاريخ العربيّ.
- الرازي، أحمد بن فارس. (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م). **مقاييس اللّغة**. تحقيق: عبدالسَّلام هارون. ط الثّانية. دار الجيل: بيروت.
- الرازي أحمد بن فارس. (بدون). **متخيّر الألفاظ**. تحقيق: هلال ناجي. المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربيّ. الرِّباط. المغرب.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل. (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م). **مفردات غريب القرآن**. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط الأولى. دار القلم: دمشق. والدّار الشّاميّة: بيروت.
- الزَّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر. (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م). **أساس البلاغة**. تحقيق: الأستاذ عبدالرَّحيم محمود. ط الأولى. مطبعة أولاد أورفانز بطريقة (الفوتوأوفست).
- السندوبي، حسن. (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م). **شرح ديوان امرئ القيس**. مراجعة: أسامة صلاح الدِّين ميمنة. ط الأولى. دار إحياء العلوم: بيروت.
- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر. (بدون). **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبدالسَّلام هارون. طباعة ونشر: عالم الكتب: بيروت.
- السُّيوطي، الإمام جلال الدِّين. (بدون). المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. تحقيق: محمَّد أحمد جاد المولى. وعلي محمَّد البجاوي. ومحمّد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر.
- الشّيباني، أبو عمرو. (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م). **الجيم**. تحقيق: إبراهيم الإبياري ورفاقه. مجمع اللّغة العربيّة – القاهرة: الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة.
- صادر، كارين. (١٩٩٩). **ديوان الأخطل**. ط الأولى. دار صادر: بيروت.
- الصيرفي، حسن كامل. (١٩٧١). **ديوان المثقّب العبدي**. معهد المخطوطات العربيّة: القاهرة.

- الضبِّي، المفضَّل بن محمَّد بن يعلى. (١٩٩٣). **المفضليَّات**. تحقيق وشرح: أحمد محمَّد شاكر. وعبدالسَّلام هارون. ط الثّامنة. دار المعارف: القاهرة.
- الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م). **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد محمَّد شاكر. ط الأولى. مؤسَّسة الرِّسالة: بيروت.
- طراد، مجيد. (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م). **ديوان ذي الرُّمّة**. بشرح: الخطيب. ط الأولى. دار الكتاب العربيّ: بيروت.
- عبَّاس، إحسان. (١٩٨٤). **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**. ط الثّانية: مطبعة حكومة الكويت.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله. (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م). **التَّلخيص في معرفة أسماء الأشياء**. عني بتحقيقه: د. عزّة حسن. ط الثّانية. دار صادر: بيروت.
- عطيّة اللّه، أحمد. (بدون). **القاموس الإسلامي**. نشر: مكتبة النّهضة المصريّة: القاهرة.
- الفراهيدي، أبو عبدالرَّحمن الخليل بن أحمد. (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م). **العين**. تحقيق: د. مهدي المخزومي. ود.إبراهيم السامرائي. ط الأولى. مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت.
- المعيني، عبدالحميد. (١٩٨٢). **بنو تميم – شعرهم في العصر الجاهلي**. جمع وتحقيق: منشورات نادي القصيم الأدبي.
- ناصر الدِّين، مهدي محمَّد. (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م). **ديوان طرفة بن العبد**. ط الأولى. دار الكتب العلميّة: بيروت.
- الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلّام. (١٣٩٦هـ). **غريب الحديث**. تحقيق: د. محمَّد عبدالمعيد خان. ط الأولى. دار الكتاب العربيّ: بيروت.

- الهنائي، أبو الحسن المعروف بكراع النمل. (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م). **المنتخب من غريب كلام العرب**. تحقيق: محمَّد بن أحمد العمري. ط الأولى: مطبوعات جامعة أمّ القرى.
- يعقوب، إميل بديع. (١٤١١هـ/ ١٩٩١م). **ديوان ابن حلزة**. ط الأولى. دار الكتاب العربيّ: بيروت.